Şarkiyat İLMİ ARAŞTIRMALAR DERGİSİ
JOURNAL OF ORIENTAL SCIENTIFIC RESEARCH (JOSR)
Cilt/Volume: 16, **Sayı/Issue:** 01 (Haziran/June 2024)

المجاز اللغويّ التداوليّ في تراث البلاغة التعليميّة

Amer al-Jarah
Mardin Artuklu Üniversitesi Yaşayan Diller Enstitüsü Arap Dili ve Kültürü Anabilim Dalı
amer.j.80@gmail.com https://orcid.org/0000-0002-8665-101X

Article Types / Makale Türü: Research Article / Araştırma Makalesi
Received / Makale Geliş Tarihi: 13 Mart 2024 **Accepted / Kabul Tarihi:** 2 Kasım 2024
DOI: 10.26791/sarkiat.1264329

المجاز اللغويّ التداوليّ في تراث البلاغة التعليميّة

الملخّص

قد يبدو مصطلح (المجاز التداوليّ) فريدًا وغريبًا، وسنعمد في هذا البحث إلى الكشف عن فرادته، وإزالة غرابته بإبراز الجانب التداوليّ الذي يتّخذ من اللغة التواصلية منطلقًا له، وبتحكيم تلك اللغة في قراءة المجاز، ونشير إلى اعتماد البلاغيين مفهوم الإفادة في التمييز بين ضروب المجاز الاستعاري الذي يمثّل أعلى مستويات المجاز، إضافة إلى الوقوف على الجانب الحِجاجيّ، كما نشير إلى أنّهم جعلوا الاتساع الذي يتيحه الاستعمال مرتكزًا لقراءة المجاز المرسل، وهذان المجازان؛ أي: الاستعاريّ، والمرسل. هما ما اصطلح البلاغيون على جمعهما تحت سقف المجاز اللغوي الذي يقابل المجاز العقلي، فالأوّل يُلحَظ من اللغة، والآخر يُدرَك بالعقل، ونحن إنّما نقوم بقراءة المجاز التداولي في مجال محدّد هو تراث البلاغة التعليمية، وفي مجال أكثر تحديدًا هو المجاز اللغويّ، فالبلاغة التعليمية نعني بها ما استقرّ في طروحات السكّاكيّ في (مفتاح العلوم)، وهذا يعني أننا سنعود إلى أعمال سابقه؛ أي: الجرجانيّ الذي كان عمدة اشتغالاته في (أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز)، وكذلك في أعمال تابعيه مثل: ابن الناظم والقزويني اعتمدنا في بحثنا المنهج الوصفيّ؛ نقرأ الأقوال الواردة في المجاز، ونقف على أبعاده التداولية المتمثّلة في الإفادة والاستعمال والتواصل والتأويل والفهم ببعديه الإدراكيّ والمعرفيّ، فأدرنا البحث على ثلاثة مباحث: أوّلها في مفهوم المجاز وأقسامه في البلاغة التعليمية، وثانيها في تداوليّة المجاز الاستعاريّ، والأخير في تداولية المجاز المرسل.

الكلمات المفتاحيّة: البلاغة التعليمية، الاستعارة، المجاز المرسل، التداولية، الإفادة، الاستعمال.

Pragmatic Linguistic Metaphor In The Heritage Of Educational Rhetoric: Descriptive Study

Abstract

The term “pragmatic metaphor” may seem unique, we will reveal the uniqueness of the term and remove its oddness by highlighting the pragmatic aspect of the communication language as its starting point and judging that language in analyzing metaphor. We will shed the light on the adoption of utilization concept in distinguishing between the forms of figurative metaphor by rhetoricians, which represents the highest and most important of its types as well as in standing on the argumentative side and how they have made the range of usage depending on reading the synecdoche. All these are what rhetoric is used to bring together under the roof of the linguistic metaphor that corresponds to the mental metaphor. The first is noticeable from the language, and the other is understood by mind. We only read the p2ragmatic metaphor in a specific area which is the heritage of educational rhetoric, and in a more specific area which is the linguistic metaphor. Educational rhetoric means what is found in the theses of Al-Sakkaki in ‘Key to Knowledge’, which means that we will refer to the work of his predecessor such as Al-Jarjani, who his most important works were in “The secrets of rhetoric”, and “ The evidence of Incapacitation “, as well as the works of those who come after him such as: Ibn al-Nazim and Qazwini. In the research, we adopted the descriptive approach; we read the statements about metaphors and check the pragmatic dimensions of that are represented in meaning, use, communication, interpretation and understanding of its perceptual and cognitive dimensions. We conducted this research on three investigations: the first in the concept of metaphor and its sections in educational rhetoric, the second in pragmatic figurative metaphor and the last in pragmatic synecdoche.

Keywords: Educational rhetoric, metaphor, Synecdoche, pragmatics, meaning, usage.

Eğitim Retoriğinde Pragmatik Dilsel Metafor: Betimleyici Bir Çalışma

Öz

Terim olarak (mecazi edimbilim) tanımlanması zor ve benzeri bulunmayan bir yapıda görünmektedir. Bu araştırmada, terimin benzersizliğini ortaya çıkarmaya ve dilin iletişimini kendisine bir hareket noktası olarak alan edimbilim yönünü yansıtarak bu garipliği ortadan kaldırmaya çalışacağız. Mecazı açıklarken bu dili tahkim ederek, mecazın en üst seviyelerini temsil eden isti’âreyi ve en önemli türlerini ayırt etmede belâgat âlimlerinin ifade kavramını benimsemesine atıfta bulunuyoruz. Buna ek olarak onun kanıt olma yönü üzerinde de durulacaktır. Yine bu çalışmada merkezinde mecâz-ı mürseli açıklamak için temel aldıkları iki metafor olan isti’âre ile mecaz-ı mürsele de değinilmiştir. Bunlar belagatçıların aklî mecâza tekabül eden lügavî mecâz çatısı altında topladıklarıdır. Birincisi dil üzerinden fark edilir, ikincisi ise zihin tarafından algılanır. Biz de bu araştırmada sınırlı bir alanda eğitici belagatin mirası olan edimbilim mecazını tahlil etmeye çalışıyoruz. Daha spesifik bir alanda, isti’âre ve mecâz-ı mürselden oluşan lügavî mecâzı ele alıyoruz. Eğitici belagat ile es-Sekkâkî *Miftâhu’l-ʿulûm* adlı eserinde üzerinde durduğu önermeleri kastediyoruz. Bu da, el-Cürcânî meseleyi asıl konu olarak ele aldığı *Esrârü’l-belâga* ve *Delâilü’l-iʿcâz* gibi önceki eserlerle İbnü’n-Nâzım ile el-Kazvînî gibi âlimlerin sonraki eserlerine döneceğimiz anlamına geliyor. Çalışmamızda analitik ve tümevarım araçlarıyla tasviri yöntemi benimsedik. Mecazla ilgili söylenenleri tahlil ederek onun algısal ve bilişsel boyutlarında ifade, kullanım, iletişim, yorumlama ve anlama gibi unsurları üzerinde durulmuştur. Bu minvalde çalışma birincisi mecaz kavramıyla eğitici belagat içindeki bölümleri, ikincisi isti’âre mecazının edimbilimi, sonuncusu da mecâz-ı mürselin edimbilimi çerçevesinde üç konu etrafında şekillenmektedir.

Anahtar Kelimeler: Didaktik belagat, mecaz, mecâz-ı mürsel, edimbilim, ifade, kullanım.

مقدّمة

يحتضن عنوان البحث مصطلحات متداولة معروفة؛ نحو: المجاز اللغويّ، والبلاغة التعليميّة، والتداوليّة، ويتحدّث عن ضروب المجاز اللغويّ المعروفة من استعارة ومجاز مرسل، ويتطرّق للحديث عن الأبعاد التداوليّة التي يكتنفها المجاز؛ مثل: الإفادة والاستعمال والتواصل والحِجاج، فههنا حديث عن حقلين علميَّين مفترقين في المصدر والمادّة والزمن؛ هما: البلاغة، والتداولية pragmatics، فمصدر الأولى عربيّ تراثيّ، ومادّتها ذات غايات جمالية فنّية أسلوبية، وزمنها يعود إلى القرن الخامس الهجري فالسابع فالثامن، والأخرى مصدرها غربيّ حديث، وهي ذات أبعاد نفعيّة تواصليّة، وقد يبدو الجمع بينهما مجازفة كما قد يرى بعضهم، غير أننا نرى أنّ ذلك يكون بالنظر إلى التداولية بوصفها إجراءً يركّز على الوظيفة وعلى البعد النفعيّ، في مقابلة الإجراء الأسلوبي الذي يقف على بنية الكلام وأبعاده الفنّية الجمالية، لذلك فإنّ مصطلح (المجاز التداولي) ليس غريبًا أو هجينًا، فنحن نقرؤه من وجهة نظر نفعية وظيفية، وندعو في هذا السياق إلى إعادة قراءة البلاغة من هذا المنطلق، وقد سبقنا الغرب إلى ذلك حين توقّف عن اعتبار البلاغة التزيينية التي تقوم على دراسة البنية جماليًّا فحسب بالرجوع إلى البلاغة الحِجاجيّة الأرسطيّة،[1] فأدخلها في سياق المفاهيم التداوليّة البراقماتية،[2] ولعل هذا البحث الذي يتناول المجاز التداوليّ أن يكون لبنة في بناء هذا الصرح بالوقوف على قراءة المجاز من وجهة نظر نفعيّة تواصليّة، وتكمن أهميّة البحث فوق ذلك في مراجعة قراءة المجاز وأنواعه وبيان سيرورة انتقاله إلى أن استقرّ على الصورة التي نعرفها الآن.

إنّ أكثر البحوث والدراسات السابقة لصوقًا ببحثنا هي:

بحث للدكتورة دلال وشن المنشور في مجلة الممارسات اللغوية، المجلد١٢، العدد١، بعنوان (القصد والمجاز في البلاغة العربية: عبد القاهر الجرجانيّ أنموذجًا)، اقتصرت فيه على دراسة المجاز عند عبد القاهر، وعلى جانب القصد التداوليّ.

ورسالة ماستر للباحثة سعيدة مداس في جامعة محمد خيضر بسكرة بعنوان (المجاز في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانيّ: دراسة تداولية) ٢٠١٦. تناولت فيها الباحثة المجاز عند عبد القاهر في (الدلائل) تحديدًا، ووقفت على مفهومي القوّة الإنجازيّة للمجاز، والاستلزام الحواريّ.

وبحث بعنوان (دوران الحقيقة على المجاز في الوظيفة التداولية: عوارض الدلالة في آي جزء عمّ) للدكتورين هاني آل يونس، ونوري الزيباري، في مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد٩، العدد٤، ٢٠١٩، تحدّثا فيه عن آلية الاستدلال على الحقيقة من المجاز باتباع تقنيات تداولية مثل الاقتضاء السياقيّ والمرجعيات التي تفسّر دلالة المجاز الحقيقية.

وهناك كتب تكلّمت على صلة البلاغة والتداوليّة بعامّة مثل كتب الدكتور محمد العمري، ولسنا بصدد تعديد جميع من تكلّم على المجاز والتداوليّة، بقدر ما نروم إبراز امتياز بحثنا عنها في أنّه يتناول مصطلح المجاز التداوليّ في مقابل المجاز الأسلوبيّ، أو لنقل بتعبير أدقّ: يتناول المجاز من وجهة نظر تداولية تواصلية نفعية، تختلف عن وجهة النظر السائدة في قراءة المجاز؛ أي النظرة الأسلوبيّة، نبرز ذلك بالوقوف على قراءات البلاغيين في المرحلة التعليمية للبلاغة، ونورد آراءهم ذات الطابع التداوليّ المتعلّق بالإفادة والتأويل والفهم، ونقدّم مع ذلك قراءتنا الخاصّة لنوضّح أنّ المجاز الذي يعدّ على رأس القيم الجمالية الشعريّة سواء عند العرب أو الغرب[3] يمكن أن يُدرس تداوليًّا دراسة حرّة تأخذ بالبعد العامّ للتداولية بوصفها إجراءً لا علمًا.

مفهوم المجاز وأقسامه في البلاغة التعليمية

أجمع البلاغيّون في مرحلة البلاغة التعليمية[4] على أنّ المجاز هو «كلّ كلمة أريد بها غيرُ ما وقعت له في وَضْع واضعها، لملاحظةٍ بين الثاني والأوّل.»[5] وهذا هو حدّ عبد القاهر الجرجانيّ، غير أنّ المجاز وفق هذا المفهوم كان معروفًا قبل ذلك بكثير، ولعلّ الجاحظ (٢٥٥هـ) من أوائل من تكلّم عليه؛ يقول في تعليقه على قوله: {فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى} [طه:٢٠]: «ومن جعل للحيّات مشيًا من الشعراء، أكثر من أن نقف عليهم. ولو كانوا لا يسمّون انسيابها وانسياحها مشيًا وسعيًا لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه؛ فمن عادة العرب أن تشبّه به في حالات كثيرة. وقال الله تعالى: {هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} [الواقعة:٥٦] والعذاب لا يكون نزلًا، ولكنّه أجراه مجرى كلامهم.»[6] وقال في حدّ الاستعارة التي تُعدّ مجازًا: هي «تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه.»[7] وهو تعريف مبكّر تطوّر لاحقًا ولا سيما في القرن الرابع إلى أن وصل إلى عبد القاهر في القرن الخامس ففصّل فيه وشعّب طرقه.

---

١ شاعت البلاغة المحسّناتية التزيينيّة الأسلوبيّة التي تُعنى بالزخارف والجماليات منذ أعمال شيشرون وكينتيليان في القرن الأول للميلاد، وبلغ الاهتمام بها الذروة في القرن التاسع عشر مع فونتانيي وفي القرن العشرين مع جماعة (مو). يُنظر: محمّد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان (الكويت: عالم الفكر «عدد خاص بالحجاج»، ع ٢، مج ٤٠ أكتوبر/ ديسمبر ٢٠١١)، ٣٣.

٢ نشير إلى أنّ مصطلح pragmatics ترجمه طه عبد الرحمن بالتداولية [يُنظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (الدار البيضاء- المغرب، بيروت- لبنان: ط٣ المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧)، ٢٨.] واعتُمد كذلك في الغالب، غير أنّ هناك من استعمال طريقة التعريب (براغماتية)، ونرى أنّ (براقماتية) بالقاف أنسب لأنّ لفظ الحرف ((g موجود في بعض اللهجات العربية، وتستعمله بدلًا من القاف، لذلك فهو الأنسب من بين الحروف الأخرى؛ مثل: الغين، والكاف، والجيم...

٣ يُنظر مثلًا: عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، جدّة: دار المدني، ط١، ١٩٩٢)، ٦٦. وجان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٦)، ١٩٠.

٤ قسّمنا البلاغة تاريخيًّا وموضوعيًّا إلى ثلاثة أقسام ضمن مشروع تبنيناه وبنيناه على اعتبار طريقة التناول مع اعتبار عامل الزمن والتحوّلات الكبرى في مسيرة البلاغة، فجعلنا القسم الأوّل: البلاغة القديمة (كتاب مطبوع بعنوان: البلاغة القديمة: أسسها النقدية وتمثّلاتها الأسلوبية والتداولية)، والقسم الثاني: البلاغة التعليمية (كتاب يتناول علوم البلاغة المعروفة: البيان والبديع والمعاني، طبعنا منه علم البديع بعنوان: البلاغة التعليمية «علم البديع»: عرض جديد وآراء تجديدية)، وسنكمله مع القسم الثالث والأخير: البلاغة الجديدة إن يسّر الله. يُنظر: عامر الجرّاح، البلاغة التعليمية «علم البديع» عرض جديد وآراء تجديدية (تركيا: شرفات للنشر والدراسات، ط١، ٢٠٢١).

٥ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٥١. ويُنظر: أبو يعقوب السكاكي (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧)، ٣٥٩. وبدر الدين بن مالك ابن الناظم (ت٦٨٦هـ)، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف (الجماميز- مصر: مكتبة الآداب، د.ط.ت)، ١٢٢. والخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، تحقيق إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣)، ٢٠٢.

٦ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ، ط٢، ١٩٦٥)، ٢٧٣/٤.

٧ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجيّ، ط٧، ١٩٩٨)، ١٥٣/١.

اقترح عبد القاهر الجرجانيّ مصطلح المجاز اللغويّ في مقابل المجاز العقليّ، فجعل اللغويّ مجازًا في المُثبَت وفي المفرد، كما جعل العقليّ مجازًا في نفس الإثبات وفي الجملة؛ قال: «إذا قلت سرَّني الخبر وسرَّني لقاؤك، فالمجاز في الإثبات دون المثبَت؛ لأن المثبَت هو السرور، وهو حاصل على حقيقته، ومثال ما دخل المجازُ في مُثبته دون إثباته، قوله عزّ وجلّ: {أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام:٢٢١]، وذلك أن المعنى - والله أعلم - على أن جُعل العلمُ والهُدَى والحكمة حياة للقلوب، على حدِّ قوله عزّ وجلّ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى:٢٥]، فالمجاز في المُثْبَت وهو الحياة، فأمّا الإثبات فواقع على حقيقته؛ لأنه ينصرف إلى أن الهدى والعلم والحكمة فَضْلٌ من الله وكائنٌ من عنده.»[٨]، وقال بعد ذلك: «فاعلم أنه إذا وقع في الإثبات فهو متلقّى من العقل، وإذا عرض في المُثْبَت فهو متلقّى من اللغة.»[٩] وقسّم المجاز اللغويّ إلى الاستعارة والمجاز المرسل، وإنْ لم يصرّح بذكر المجاز المرسل؛ قال: «اعلم أن المجاز على ضربين: مجازٌ من طريق اللغة، ومجازٌ من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المُفردة كقولنا: اليد مجازٌ في النعمة، والأسد مجازٌ في الإنسان وكلُّ ما ليس بالسبع المعروف، كان حُكمًا أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة، لأنا أردنا أنّ المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة، وأوقعها على غير ذلك، إمّا تشبيهًا، وإمّا لصلةٍ وملابَسةٍ بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه، ومتى وصفنا بالمجاز الجملةَ من الكلام، كان مجازًا من طريق المعقول دون اللغة.»[١٠] فالتشبيه هو علاقة الاستعارة، وما له صلة وملابسة غير التشبيه هو مُحصَّل المجاز المرسل، ولم يسمِّهِ، فجعله لعلاقة غير التشبيه؛ قال: «وأمّا ما كان منقولًا لا لأجل التشبيه، كاليد في نقلها إلى النعمة، فلا يوجد ذلك فيه، لأنك لا تُثبت للنعمة بإجراء اسم اليد عليها شيئًا من صفات الجارحة المعلومة، ولا تروم تشبيهًا بها البتة، لا مبالغًا ولا غير مبالغ.»[١١] وجعل الحذف والزيادة من المجاز حين يكونان سببًا لحدوث حكم في الكلمة ينقلها عن دلالتها الموضوعة لها فتدخل من أجله في المجاز، كنصب القرية في نحو: {وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف:٨٢]، وجرّ المِثْل في نحو: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:١١].[١٢]

ذلك الكلام كان في (الأسرار)، أمّا في الدلائل فقد أطلق الجرجانيّ المجاز على ضربين: «الاستعارة، والتمثيل. وإنّما يكون التمثيل مجازًا إذا جاء على حدّ الاستعارة.»[١٣] أمّا الاستعارة فجعلها في صورتين: أولاهما أن تجعل الشيءَ الشيءَ ليس به، والأخرى أن تجعل للشيءِ الشيءَ ليس له. فمن الأوّل قولك: رأيتُ أسدًا. تريد إنسانًا شُجاعًا، ومن الآخر قول لبيد:

..... إذْ أصبحتْ بيدِ الشَّمالِ زِمامُها

وأمّا التمثيل الذي على حدّ الاستعارة أو ما يسمّيه (التمثيل بالاستعارة) فكقولك للرجل يتردّد في الشيء بين فعله وتركه: أراك تُقدِّم رجلًا وتُؤخِّر أخرى.[١٤] ثمّ نراه بعد ذلك ينظم في سلكهما الكناية من غير أن يذكر أنها من المجاز، بل إنّه يذكرها إلى جانب المجاز في فصل جعله بعنوان (في اللفظ يُطلَق والمرادُ به غير ظاهره)؛ قال: «اعلم أنّ لهذا الضرب اتساعًا وتفنّنًا لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعمّ على شيئين: الكناية، والمجاز.»[١٥]

أمّا السكاكيّ فلم يخرج عن تقسيمات عبد القاهر إلّا في بعض الفروع؛ إذ قال: «اعلم أن المجاز عند السلف من علماء هذا الفنّ قسمان: لغوي، وهو ما تقدم، ويسمى مجازًا في المفرد، وعقلي وسيأتيك تعريفه، ويسمى مجازًا في الجملة، واللغوي قسمان: قسم يرجع على معنى الكلمة، وقسم يرجع على حكم لها في الكلام، والراجع على معنى الكلمة قسمان: خال عن الفائدة ومتضمِّن لها، والمتضمِّن للفائدة قسمان: خال من المبالغة في التشبيه ومتضمِّن لها، وأنه يُسمّى الاستعارة، ولها انقسامات فهذه فصول خمسة: مجاز لغوي راجع على المعنى خال عن الفائدة، ومجاز لغوي معنوي مفيد خال عن المبالغة في التشبيه، واستعارة، ومجاز لغوي راجع على حكم الكلمة، ومجاز عقلي.»[١٦] والمتأمّل يجد أن المقصود بقوله (ومجاز لغوي معنوي مفيد خال عن المبالغة في التشبيه) هو ما عُرف لاحقًا باسم المجاز المرسل. لم يخرج ابن الناظم عن تقسيمات السكاكيّ فاعتمدها في (مصباحه)،[١٧] وأمّا القزوينيّ فكان له جهد مختلف واجتهاد كبير، فجعل المجاز اللغويّ في ضربين: استعارة علاقتها المشابهة، ومجاز مرسل العلاقات؛ فمنها الجزئية والكلّية، ومنها السببيّة والمُسبَّبيّة، ومنها الحالّية والمحلّية...[١٨] وهو ما استقرّ أخيرًا في أدبيات البلاغة التعليمية إلى يومنا، وهو ما سنعتمده في بحثنا هذا، ونشير إلى أنّ ابن الأثير من المتأخّرين تحدّث عن المجاز بطريقة مختلفة أفاد فيها من سابقيه،[١٩] ولن نخوض كثيرًا في التفاصيل لأنّ وجهتنا هي نحو البلاغة التعليمية كما أسلفنا.

المجاز الاستعاريّ التداوليّ

لم يكن الحديث عن الاستعارة في تراث البلاغة التعليمية جديدًا، فقد كان معروفًا في القرن الثالث عند الجاحظ وابن المعتزّ (٢٩٦هـ)، ولا ريب في أنه كان معروفًا في القرن الثاني، وذلك أنّ أبا عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) جعل بيت لبيد بن ربيعة العامريّ:

---

٨ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٦٦.

٩ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٧٣.

١٠ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٤٠٨.

١١ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٤٠٣.

١٢ يُنظر: الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٤٢٠.

١٣ عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، جدّة: دار المدني، ط٣، ١٩٩٢)، ٦٧.

١٤ الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ٦٧-٦٨.

١٥ الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ٦٦.

١٦ السكاكي، مفتاح العلوم، ٣٦٢.

١٧ يُنظر: ابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، ١٢٢- وما بعدها.

١٨ يُنظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة العربية، ٢٠٢- وما بعدها.

١٩ يُنظر: ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٦هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانه (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، د.ت)، ٧١/٢

وغداةَ ريحٍ قد وزعتُ وقَرّة إذْ أصبحتْ بيدِ الشَّمالِ زِمامُها[٢٠]

من قبيل الاستعارة، «يقول: ألا ترى كيف صيّر له ملاءة، ولا ملاءة له، إنما استعار له هذه اللفظة؟»[٢١] وقد يكون معروفًا قبل ذلك أيضًا.

أمّا في مرحلة البلاغة التعليمية موضوع بحثنا فقد تكلّم عبد القاهر الجرجانيّ على حدّ الاستعارة وأقسامها، فقال: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَة، ثم إنها تنقسم أوّلًا قسمين، أحدهُما: أن يكون لنقله فائدة، والثاني: أن لا يكون له فائدة.»[٢٢] وجعل ممّا لا فائدة منه أن تجعل للإنسان مرسنًا وهو للحيوان، أو تجعل للإبل جحافل، وهي لذوات الحوافر، أو أن تُجري الحَفَّان على صغار الإبل، وهو موضوع لصغار النعام، وهكذا. «وأمّا المفيد فقد بانَ لك باستعارته فائدةٌ ومعنًى من المعاني وغَرَضٌ من الأغراض، لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك، وجملة تلك الفائدة وذلك الغرض التشبيه، إلا أنَّ طُرُقه تختلف حتى تفوت النهايةَ، ومذاهبه تتشعّب حتى لا غاية.»[٢٣] فالتشبيه هو غرض الاستعارة أو علاقتها الوحيدة خلافًا لعلاقات المجاز المرسل الكثيرة، أمّا فائدتها فتظهر في المبالغة في الوصف كما يرى الجرجانيّ.[٢٤] ويقول: «ومن خصائصها التي تُذكرَ بها، وهي عنوان مناقبها، أنَّها تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرِجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعًا من الثَّمر... فإنك لترى بها الجمادَ حيًّا ناطقًا، والأعجمَ فصيحًا، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً، وإذا نظرتَ في أمر المقاييس وجدتَها ولا ناصر لها أعزُّ منها، ولا رَوْنَق لها ما لم تَزِنْها، وتجدُ التشبيهات على الجملة غير مُعْجِبَةٍ ما لم تكُنْها، إن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون، وإن شئتَ لطَّفتِ الأوصاف الجسمانية حتى تعود رُوحانية لا تنالها إلاّ الظنون.»[٢٥] يشرح الجرجانيّ درجات الاستعارة وفوائدها في تكثير المعاني والتشخيص والإظهار والتجسيم والتلطيف، وهذه الفوائد لا تتحصّل من الضرب الأوّل الذي سمّاه الاستعارة غير المفيدة، إنّ ذلك مع قوله إنّ الفائدة الكبرى تكمن في المبالغة في الوصف يفضي إلى أنّ الاستعارة وسيلة من وسائل التعبير الفنّي تهدف إلى تحقيق أعلى درجات التواصل، حتى إنّ البلاغة التي من البلوغ هي من هذا القبيل؛ أي بلوغ الغاية في التعبير، أمّا بلوغ الغاية في استعمال الوسيلة الفنّية فهو حديث عن الوسيلة وطريقة التعبير لا الغاية والهدف. من هنا كانت دراسة البلاغة من وجهة نظر تداولية أمرًا ضروريًّا، لأنّ من الواجب والأولوية الوقوف على الغاية والهدف والمنفعة لا الوسيلة والغاية الجمالية الإمتاعية دون الغاية والمنفعة، ومن هنا رأينا ضرورة ربط قراءة الاستعارة بمبدأ الإفادة. ويؤكد عبد القاهر فائدة الاستعارة في قوله: « ليست المزية التي تراها لقولك: رأيت أسدًا. على قولك: رأيت رجلًا لا يتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته. أنك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل أن أفدت تأكيدًا وتشديدًا وقوة في إثباتك له هذه المساواة، وفي تقريرك لها. فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته، بل في إيجابه والحكم به.»[٢٦] فهو يقف على جانب إفادة التبليغ والتقرير في الاستعارة، وهو جانب تداوليّ، وإن كان حديثه في الغالب أسلوبيًّا، ويقف عبد القاهر على الجانب الحِجاجي للاستعارة في قوله: «أمّا الاستعارة، فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة، أنك إذا قلت: رأيت أسدًا. كنت قد تلطّفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة، حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده. وذلك أنه إذا كان أسدًا، فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة، وكالمستحيل أو الممتنع أن يَعرى عنها.»[٢٧] فالحديث عن الجانب الحِجاجيّ بادٍ في الاستعارة، بل إنّ عبد القاهر يرى أنّها في قوتها الحِجاجيّة تفوق صور التعبير الأخرى كالتشبيه والتمثيل، وقوّتها مستمدّة من طاقاتها التأثيرية، فالإخبار بطريقة التأثير أبلغ من الإخبار بطريقة التقرير.

تابع السكّاكيّ عبد القاهر في تناول الاستعارة وتقسيمها، غير أنّه أعاد تنظيمها على طريقته، وعرّفها بقوله: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدّعيًا دخول المشبَّه في جنس المشبَّه به دالًّا على ذلك بإثباتك للمشبَّه ما يخصّ المشبَّه به.»[٢٨] وقسّم الاستعارة إلى تصريحيّة ومكنيّة كما هو معلوم في البلاغة التعليمية، وفرّع عن التصريحيّة فروعًا ثلاثة، فأصبحت على أربعة أقسام على النحو الآتي: «الاستعارة المصرَّح بها التحقيقية مع القطع، والاستعارة المصرَّح بها التخييليّة مع القطع، الاستعارة المصرَّح بها مع الاحتمال للتحقيق والتخييل، الاستعارة بالكناية. ثم إن الاستعارة، ربما قُسّمت على أصلية وتبعية، والمراد بالأصلية أن يكون معنى التشبيه داخلًا في المستعار دخولًا أوليًّا، والمراد بالتبعية أن لا يكون داخلًا دخولًا أوليًّا، وربما لحقها التجريد فسُمّيت مجردة، أو الترشيح فسميت مرشحة.»[٢٩] وطالب السكّاكيّ أن تكون الاستعارة التصريحيّة تداولية سائرة بين الناس؛ يظهر فيها الشبه بين المستعار له والمستعار منه؛ قال: «نوصي في الاستعارة بالتصريح أن يكون الشبه بين المستعار له والمستعار منه جليًّا بنفسه أو معروفًا سائرًا بين الأقوام وإلا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية والألغاز كما إذا قلت: رأيت عودًا مسقيًّا أوان الغرس. وأردت إنسانًا مؤدبًا في صباه أو قلت: رأيت إبلًا مائة لا تجد فيها راحلة. وأردت الناس.»[٣٠] فوقف على الجانب التداوليّ التواصليّ.

تحدّث السكّاكيّ عن (معنى الكلمة غير المفيد)، وهو الذي سمّاه الجرجانيّ من قبل (الاستعارة غير المفيدة)، فجعله من ضروب المجاز، فقال: «هو أن تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة، مثل: أن تستعمل المرسن، وأنه موضوع

٢٠ وزعتُ: كففت. والقِرّة: البرد، وقوله (إذ أصبحت بيد الشمال زمامها) أي إذ أصبحت الغداة الغالب عليها الشمال وهي أبرد الرياح، وجعل للشمال يداً وللغداة زماماً.

٢١ ابن رشيق القيروانيّ (ت٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حقّقه وفصله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ط٥، ١٩٨١)، ٢٦٩/١.

٢٢ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٠.

٢٣ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٢-٣٣.

٢٤ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٣.

٢٥ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٤٣.

٢٦ الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ٧١.

٢٧ الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ٧٢.

٢٨ السكاكي، مفتاح العلوم، ٣٦٩.

٢٩ السكاكي، مفتاح العلوم، ٣٧٣- ٣٧٤.

٣٠ السكاكي، مفتاح العلوم، ٣٨٨.

لمعنى الأنف، مع قيد أن يكون أنف مرسون، استعمال الأنف من غير زيادة قيد بمعونة القرائن، كقول العجاج:

..... وفاحمًا ومُرْسنًا مُسرَّجا

يعني أنفًا يبرق كالسراج، أو مثل: المِشفَر، وهو موضوع للشفة، مع قيد أن تكون شفة بعير استعمال الشفة، فتقول: فلان غليظ المشفر... سُمّي هذا القبيل مجازًا لتعدّيه عن مكانه الأصلي... وغير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو: ليث وأسد، وحبس ومنع عند المصير على المراد منه.»[٣١] أمّا المجاز المفيد عند السكّاكيّ، وهو الذي يعنينا في هذا السياق، فهو ما يُدعى في عُرف البلاغة التعليمية باسم المجاز المرسل، وسنتحدّث عنه في المبحث اللاحق.

أمّا ابن الناظم فلم يخرج عن طريقة السكّاكيّ في الحديث عن الاستعارة، وكذلك القزوينيّ ناقش الاستعارة بالاستناد إلى طروحات الجرجانيّ والسكّاكيّ، ووقف على أنّ الاستعارة أبلغ من الحقيقة، وأنها تفيد إثبات الصفة.[٣٢] وقال في شأن الاستعارة المرشّحة والمجرّدة: إنّ «الترشيح أبلغ من التجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة، و لهذا كان مبناه على تناسي التشبيه.»[٣٣] إنّ هذه الوقوفات المهمة لأولئك العلماء على القيم التداولية للاستعارة لم تحظَ بالعناية من قبل الدارسين فيما بعد، فصارت البلاغة بعامّة ضربًا من حشد الأساليب مع الالتفات إلى قيمها الفنّية الجمالية دون الالتفات إلى ما وراءها من قيم نفعيّة تفيد في استثمار الأساليب البلاغية في طرق التقرير والإقناع، ولنقف على عبارة (أبلغ) التي تردّدت في كلام البلاغيين الأوائل، فهي تدلّ على أنّ الكلام الذي يؤثّر في الشعور والخيال أبلغ من الذي يؤثّر في العقل، أي الكلام التأثيري أبلغ من الإخباريّ، وهذا ما كان أرسطو يميل إليه؛ إذ يرى «أن عامة الناس يتأثّرون بمشاعرهم أكثر ممّا يتأثّرون بعقولهم، فهم في حاجةٍ إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة»[٣٤]. وهذا ما لمسناه في أساليب البلاغة العربية، فللتأثير الاستعاريّ أبعاد تداولية تواصليّة وحِجاجيّة.

إنّ البعد التداوليّ يظهر في الاستعارة حين تكون قريبة من خلال مراعاة جانب الإفهام، ويصحّ أن ندعوها استعارةً إخباريّةً، في حين أنّ البعد التداوليّ في الاستعارة البعيدة يتجلّى من خلال النظر في الجانب التأثيريّ لها، وهذه يمكن أن ندعوها استعارةً تأثيريّةً، والاستعارتان الإخبارية والتأثيرية تداوليّتان وفق هذا التحليل.

المجاز المرسل التداوليّ

مفهوم المجاز المرسل كان معروفًا قبل ظهور البلاغة التعليمية وتقسيماتها، ففي القرن الثالث ذكر مؤدّاه ابن قتيبة (٢٧٦هـ) غير أنّه جعله من باب الاستعارة فقال: «العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمّى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورًا لها، أو مشاكلًا. فيقولون للنبات: نوء [مطر]؛ لأنه يكون عن النوء عندهم. قال رؤية بن العجاج:

..... وجَفَّ أنواءُ السّحابِ المرتزقْ

أي جفّ البقل. ويقولون للمطر: سماء؛ لأنه من السماء ينزل، فيقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم. قال الشاعر:

إذا سقطَ السّماءُ بأرضِ قومٍ ... رعيناه وإنْ كانوا غِضابا

ويقولون: ضحكت الأرض: إذا أنبتت؛ لأنها تُبدي عن حسن النبات، وتنفتق عن الزهر، كما يفترّ الضاحك عن الثغر.»[٣٥] وذكر أسبابًا أو علاقاتٍ ثلاثًا له كما ظهر؛ هي: السببية، والمجاورة، والمشاكلة. غير أنه توسّع أكثر في بيان العلاقات من غير أن يسمّيها، إنما اعتمد التعليل وشرح الصلة بين المنقول والمنقول إليه، أمّا مصطلح المجاز المرسل فلم يظهر بوضوح إلّا مع القزويني، ولعّله استخرجه من إشارة السكّاكيّ الآتية: «وإذ قد عرفنا الحقيقة في المفرد وفي الجملة، وعرفنا فيهما التصريح والكناية، وعرفنا المجاز في المفرد وفي الجملة، وعرفنا تنوع الكناية على تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، وعرفنا تنوع المجاز على مرسل مفيد وغير مفيد، وعلى استعارة مصرَّح بها ومكنيّ عنها... وقضينا الوطر عن كمال الاطلاع على هذه المقاصد، فنقول: البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها.»[٣٦] وسنفصّل وجوه المجاز المرسل الموزّعة داخل مصطلحات أخرى عند سابقيه من روّاد البلاغة التعليمية، ونعني هنا الجرجانيّ والسكّاكيّ قبل أن نتحدّث عن المجاز المرسل عنده، وسنبرز خلال ذلك الأبعاد التداولية فيه.

وزّع الجرجاني ما عُرف عند القزويني باسم المجاز المرسل بين مجاز ما كان لملابسة غير التشبيه، ومجاز الحذف، فجعل ما سُمّي بالمجاز المرسل خارجًا عن الاستعارة في ردّه على ابن دريد (٣٢١هـ) في كتابه (الجمهرة)؛ يقول فيه: «ذكر قولهم: رعَيْنَا الغيث والسَّماء، يعني المطر، وذكر ما هو أبعد من ذلك فقال: الخُرْس، ما تُطْعَمُه النُّفَساء، ثم صارت الدَّعوة للولادة خُرْسًا، والإعذار الختان، وسُمّي الطعام للختان إعْذَارًا، وأن الظعينة أصلها المرأة في الهَوْدَج، ثم صار البعير والهودج ظَعِينَةً... وذكر فيما بين ذِكْرِه لهذه الكلم أشياءَ هي استعارةٌ على الحقيقة، على طريقة أهل الخطابة ونقد الشعر، لأنه قال: الظمأ، العطشُ وشهوةُ الماء، ثم كثر ذلك حتى قالوا: ظمِئتُ إلى لقائك، وقال: الوَجُورُ ما أوجرته الإنسان من دَواءٍ أو غيره، ثم قالوا: أَوْجَره الرمحَ، إذا طعنه في فيه. فالوجه في هذا الذي رأوه من إطلاق الاستعارة على ما هو تشبيه، كما هو شرط أهل العلم بالشعر، وعلى ما ليس من التشبيه في شيءٍ، ولكنه نقلُ اللفظ عن الشيء إلى الشيء بسبب اختصاصٍ وضربٍ من الملابسة بينهما، وخَلْطِ أحدهما بالآخر أنهم كانوا نظروا إلى ما يتعارفه الناس

٣١ السكاكي، مفتاح العلوم، ٣٦٤.

٣٢ يُنظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٢١٦

٣٣ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٢٢٩.

٣٤ محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعيّ مدخل نظريّ وتطبيقيّ لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجًا (الدار البيضاء: دار الثقافة، ط١، ١٩٨٦)، ٨٧. نقلًا عن: أرسطو (ت٣٢٢ ق.م)، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي (بيروت: دار القلم، ١٧٩٧)، ٣.

٣٥ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط٢، ١٩٧٣)، ١٣٥-١٣٦.

٣٦ السكاكي، مفتاح العلوم، ٤١٥.

في معنى العاريَّة، وأنها شيءٌ حُوِّل عن مالكه ونُقل عن مقرّه الذي هو أصلٌ في استحقاقه، إلى ما ليس بأصل، ولم يُراعوا عُرْف القوم.»[٣٧] يشير الجرجانيّ إلى أنّ أهل الخطابة والنقد وقعوا في الخلط بين الاستعارة والتشبيه وما سُمّي المجاز المرسل، وذكر منهم ابن دريد والآمديّ وغيرهما، فأراد أن يفصل بين فنون القول، وأن يبرز قيمة الاستعارة، من ذلك أنّه رأى أنّ الاستناد أو الإسناد في الاستعارة أقوى منه في غيرها، فقال: «كل اسم جرى على الشيء للاستعارة، فالاستناد فيه قائمٌ ضرورةً. وأما ما عَدا ذلك، فلا يَقْوَى استنادُه هذه القوةَ، حتى لو حاول محاولٌ أن ينكره أمكنه في ظاهر الحال، ولم يلزمه به خروجٌ إلى المحال، وذلك كاليد للنعمة لو تكلَّفَ متكلّفٌ فزعم أنه وضعٌ مستأنَفٌ أو في حُكم لغةٍ مفردةٍ، لم يمكن دفعُه إلا برفقٍ وباعتبارٍ خفيٍّ، وهو ما قدّمتُ من أنّا رأيناهم لا يوقعُون هذه اللفظة على ما ليس بينه وبين هذه الجارحة التباسٌ واختصاصٌ. ودليل آخر وهو أن اليد لا تكاد تقع للنعمة إلّا وفي الكلام إشارةٌ إلى مصدر تلك النعمة، وإلى المُولِي لها، ولا تصلح حيث تُراد النعمة مجرَّدةً من إضافةٍ لها إلى المُنعِم أو تلويحٌ به... ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل: إنّ له عليه إصبْعًا، أي أثرًا حسَنًا.»[٣٨] جعل عبد القاهر علاقة المجاز المرسل هنا تقوم على الالتباس والاختصاص، وأشار إلى التلازم بين الشيء ومصدره، ورأى أنّ الاستعارة لا يكون فيها الالتباس كما في المجاز المرسل؛ يقول: « إذا قلت: رأيت أسدًا، تريد رجلاً شبيهًا بالأسد، لم يشتبه عليك الأمر في حاجة الثاني إلى الأوّل، إذ لا يُتصَوَّر أن يقع الأسدُ للرجل على هذا المعنى الذي أردته على التشبيه على حدّ المبالغة، وإيهامِ أنّ معنى من الأسد حصل فيه إلا بعد أن تجعل كونَهُ اسمًا للسَّبُع إزاء عينيك، فهذا إسنادٌ تعلمه ضرورةً، ولو حاولتَ دَفْعَه عن وَهْمك حاولت محالاً.»[٣٩] ويقول في المجاز المرسل: «ينظُر إلى هذا المكان قولهم: ضربتُه سوطًا، لأنهم عَبَّروا عن الضربة التي هي واقعة بالسَّوط باسمه، وجعلوا أثر السَّوط سوطًا، وتعلم على ذلك أن تفسيرهم له بقولهم: إن المعنى ضربته ضربةً بسوطٍ، بيانٌ لما كان عليه الكلام في أصله، وأنّ ذلك قد نُسي ونُسخ، وجُعل كأن لم يَكُن فاعرفه. وأمّا إذا أريد باليد القدرة، فهي إذَنْ أحَنُّ إلى موضعها الذي بُدئت منه، وأَصَبُّ بأصلها، لأنك لا تكاد تجدها تُراد معها القدرةُ، إلا والكلام مَثَلٌ صريحٌ، ومعنى القدرة منتزع من اليد مع غيرها، أو هناك تلويحٌ بالمَثَل. فمن الصريح قولهم: فلان طويلُ اليَد، يراد: فَضْلُ القُدْرة، فأنت لو وضعتَ القدرة هاهنا في موضع اليد أحَلْتَ.»[٤٠] ويشير عبد القاهر إلى أنّ اللغة تخضع لسنن جديدة نتيجة كثرة التداول، فيصبح الفرع أصلًا، ويُنسى الأصل، فالأثر التداوليّ للّغة يبرز في المثل.

يذكر عبد القاهر المجاز المرسل ضمن حديثه عن مجاز الحذف؛ يقول: «اعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز، لنقلك لها عن معناها، كما مضى، فقد توصف به لنقلها عن حُكمٍ كان لها، إلى حُكْمٍ ليس هو بحقيقة فيها، ومثالُ ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعرابَ المضافِ في نحو: {وَاسْئَلِ القَرْيَةَ} [يوسف:٨٢]، والأصل: واسأل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجرُّ، والنصبُ فيها مجازٌ، وهكذا قولهم: بنو فلانٍ تَطَؤُهم الطريقُ، يريدون أهلَ الطريق، الرَّفع في الطريق مجاز، لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو الأهل، والذي يستحقّه في أصله هو الجرُّ، ولا ينبغي أن يقال: إن وجهَ المجاز في هذا الحذفُ، فإن الحذفَ إذا تجرَّد عن تغيير حُكْم من أحكام ما بقي بعد الحذفِ لم يُسَمَّ مجازاً.»[٤١] ولم يقف عبد القاهر في هذا الضرب على مسألة الاستعمال والعُرف التداوليّ كما فعل في حديثه السابق في ردّه على ابن دريد، بل اكتفى بمناقشة الأمر وفق منطق النقل والتغيير، وهو منطق لغوي شكلي لا أثر فيه لأي بعد تداوليّ؛ إذ وقف على نقل الحركة الإعرابية، وتغيير حكم المحذوف إلى المنقول إليه، ونشير إلى أنّ بلاغة عبد القاهر هي في الأساس بلاغة نحوية؛ ظهر ذلك جليًّا في كتابه (دلائل الإعجاز).

نظّم السكّاكيّ أقسام المجاز التي أورد ذكرها الجرجانيّ، فجعل ما سُمّي عند القزوينيّ المجاز المرسل تحت باب (المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه)، وقال فيه: «هو أن تعدّي الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة على غيره لملاحظة بينهما، ونوع تعلّق؛ نحو أن تُراد النعمة باليد، وهي موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلّق النعمة بها من حيث أنها تصدر عن اليد، ومنها تصل على المقصود بها... ونحو أن يُراد النبت بالغيث كما يقولون: رعينا غيثًا. لكون الغيث سببًا، ونحو أن يُراد الغيث بالسماء لكونه من جهتها يقولون: أصابتنا السماء. أي الغيث، ونحو أن يُراد الغيث بالنبات كقولك: أمطرت السماء نباتًا. لكون الغيث سببًا فيه أو بالسنام كقول من قال:

..... أسنمة الآبال في سحابه.»[٤٢]

وذكر المجاز المرسل الواقع في مثل قوله تعالى: {وَاسْئَلِ القَرْيَةَ} [يوسف:٨٢] في باب المجاز اللغوي الراجع على حكم الكلمة في الكلام،[٤٣] وكان الجرجانيّ قد جعلها في باب مجاز الحذف، أمّا القزوينيّ فكان له الفضل في جعل المجاز اللغويّ الذي لا يكون من باب التشبيه تحت باب ما سمّاه المجاز المرسل.

عرّف القزوينيّ المجاز المرسل بأنّه «ما كانت العلاقة بين ما استُعمِل فيه وما وُضع له ملابَسة غير التشبيه.»[٤٤] وذكر ضروبه المتعدّدة المعروفة المتعلّقة بطبيعة علاقاته كالسببية والجزئية والمحلّية وغير ذلك من العلاقات المرسلة غير المقيّدة بالتشبيه شأن الاستعارة، ولا نرى ضرورة الخوض في تفصيلاتها أو إعادة الحديث فيها؛ لأنّ القزوينيّ أتى بأكثر الشواهد مما ذكره سلفاه: الجرجانيّ والسكاكيّ، والحقّ أن المجاز المرسل بضروبه المتعدّدة هو من قبيل الاتساع ومراعاة عرف الاستعمال الذي ربما طغى على القياس أو الأصل كما رأى الجرجانيّ، بمعنى أنّه ذو بعد تداوليّ، غير أنّ الدراسات البلاغية التعليمية المنطقية المقننة أعطته بعدًا لغويًّا شكليًّا أسلوبيًّا، ولا سيما عند السكاكيّ والقزوينيّ، وقد كانت بدرجة أقلّ عند الجرجانيّ؛ لأنّ الأخير كان يتّبع الطريقة النقدية الذوقية الوصفية إلى جانب الطريقة المعرفية، في حين أنّ لاحقَيه كانا أميل إلى الطريقة العلميّة المنطقية المعيارية، ولم نتطرّق لجهود ابن الناظم كثيرًا؛ لأنها كانت صدى لجهود السكاكيّ.

---

٣٧ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٤٠٠.

٣٨ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٥٢.

٣٩ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٥٢.

٤٠ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٣٥٦.

٤١ الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ٤١٦.

٤٢ السكاكي، مفتاح العلوم، ٣٦٥. الأسنمة جمع سنام. الآبال بمعنى الإبل أي البعران، والمعنى: بسبب المطر النازل من السحاب امتلأت أسنمة الإبل بالماء.

٤٣ السكاكي، مفتاح العلوم، ٣٩٢.

٤٤ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٢٠٥.

البعد التداولي في المجاز المرسل يظهر من خلال مراعاة قانون الاستعمال والتداول، ومن خلال الأخذ بمبدأ الاتساع، ويخضع مع ذلك لأداة الاستدلال اللغوي والعقلي، أو ما يُسمّى في أدبيات التداولية بالاستلزام الحواري، فينكشف المعنى المقصود من الملفوظ بالنظر إلى العلاقات الناظمة بينهما، وهي علاقات مقرّرة في بلاغة المجاز المرسل، فثمّة العلاقة السببيّة، والكلّيّة، والمحلّيّة وغير ذلك، وعدم وجود علاقة ناظمة وشارحة يفضي بالكلام إلى ضرب من الهذر والهذيان، وهذا ما يضادّ أن يكون الكلام تداوليًّا نافعًا.

الخاتمة

ظهر لنا أنّ الدراسات البلاغية التعليمية عنت بذكر الأبعاد التداولية للمجاز اللغوي بضربَيه: الاستعاريّ والمرسل، مع أنهما شاعا في الدراسات البلاغية التعليمية على أنهما شكلان أسلوبيان، وكانت تلك القيم والأبعاد التداولية حاضرة في توصيف بناء المجاز؛ وخرجنا من هذا البحث بالنتائج الآتية:

وقفنا على مبادئ الاتساع ومراعاة عُرف الاستعمال، كما وقفنا على وصف طرق البناء بذكر العلاقات التي تربط أجزاء المجازات؛ مثل: علاقة التشبيه في الاستعارة، والعلاقات المرسلة في المجاز المرسل، وهذا الحديث يرتبط بأمرين مهمّين: أوّلهما تداوليّ يتعلّق بالإفهام والتواصل، والآخر أسلوبيّ يبرز القيم الجمالية لضربَي المجاز المذكورين.

كان حضور القيم التداولية في وصف وظيفة المجاز اللغويّ بضربَيه: الاستعاريّ، والمرسل أشدّ وأجلى منها في حديث البناء أو البنية، إذ وقفنا على قيم الإفادة والتبليغ والتقرير والإقناع، وظهر لنا أنّ الاستعارة تتأسّس على تحقيق وظائف تواصلية، مثل: تكثير المعاني والتشخيص والإظهار والتجسيم والتلطيف، إضافة إلى الوظيفة الحِجاجية، أمّا المجاز المرسل فكان الميل فيه إلى الجانب الشكليّ أكثر وبرز الجانب التداوليّ فيه من جهة الحديث عن العرف الاستعمالي، والاتساع.

رأينا أنّ الجرجانيّ في حديثه عن المجاز اللغوي كان أميل إلى إبراز القيم التداولية من غيره من أرباب البلاغة التعليمية، وذلك أنّه كان يتّبع الطريقة الوصفية الذوقية البحثية، في حين أنّ لاحقيه اتّبعوا الطريقة المعيارية المنطقية المدرسية، لذلك نجد أنّ اهتمامه بالوظيفة كان أشدّ، ذلك أنّهم انشغلوا بوضع الحدود والأقسام.

دعونا إلى ضرورة قراءة المجاز وغيره من الأساليب الفنية قراءة تداولية نفعية، فالدراسات الأسلوبية الجمالية لأساليب اللغة باتت أمرًا ظاهرًا ويخضع للذائقة النقدية، غير أنّ الالتفات إلى جانب الإفادة لم يحظَ باهتمام الدارسين كثيرًا على أهميّته.

برز الجانب التداولي في ضربَي المجاز اللغويّ؛ أي: الاستعارة والمجاز المرسل من خلال الوظيفة والمقاصد، ومن خلال مراعاة طريقة الاستعمال وتحقيق التوصيل والتواصل، ومن خلال الإفادة والمنفعة.

ندعو أخيرًا إلى ضرورة رفد الدراسات الأسلوبية الجمالية بالدراسات التداولية النفعية، وألّا نقف على الوسائل ونغفل عن الغايات، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين (ت ٦٣٦هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانه. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، د.ت.

أرسطو (ت٣٢٢ ق.م)، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي. بيروت: دار القلم، ١٧٩٧.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجيّ، ط٧، ١٩٩٨.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ، ط٢، ١٩٦٥.

الجرّاح، عامر، البلاغة التعليمية (علم البديع) عرض جديد وآراء تجديدية. تركيا: شرفات للنشر والدراسات، ط١، ٢٠٢١.

الجرجانيّ، عبد القاهر (ت٤٧١هـ)، أسرار البلاغة. قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني، جدّة: دار المدني، ط٢، ١٩٩٢.

الجرجانيّ، عبد القاهر (ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني، جدّة: دار المدني، ط٣، ١٩٩٢.

ابن رشيق، القيروانيّ (ت٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حقّقه وفصله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل، ط٥، ١٩٨١.

السكاكي، أبو يعقوب (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧.

عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء- المغرب، بيروت- لبنان: المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٧.

العمري، محمّد، في بلاغة الخطاب الإقناعيّ مدخل نظريّ وتطبيقيّ لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجًا. الدار البيضاء: دار الثقافة، ط١، ١٩٨٦.

ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة: مكتبة دار التراث، ط٢، ١٩٧٣.

القزويني، الخطيب جلال الدين بن محمّد (ت٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣.

كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٦.

ابـن الناظـم، بـدر الديـن بـن مالك(ت٦٨٦هـ)، المصبـاح فـي المعانـي والبيـان والبديـع، حقّقـه وشـرحه ووضـع فهارسـه حسـني عبـد الجليـل يوسـف. مصـر- الجماميـز: مكتبـة الآداب، د.ط.ت.

الولي، محمد، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان. الكويت: عالم الفكر (عدد خاص بالحجاج) ع ٢، مج ٤٠، أكتوبر- ديسمبر ٢٠١١.

Kaynakça

Abdü'r-Râhmân, taha. *Fî usuli'l-Hivâr ve tecdid ilm'il-Keldâm*. Ed-Dâru'l-Beza'a- Beyrut: el-Merkezü's-Segâfiyyü'l-Arabî, 3. Baskı, 2007.

Aristo. *El-khatabe*. Terceme. Abdü'r-Rehmân Bedevi. Beyrut: Dâru'l-Kalem, 1797.

El-Cahîz, Ebû Osman. *El-Beyân ve Et-Tebiyin*. Tahkik ve Şerh, Ebdü's-Selam Muhammed Harun. Mısır: Mektebetü'l-Khânci, 7. Baskı, 1998.

El-Cahîz, Ebû Osman. *El-Heyvan*. Tahkik ve Şerh, Ebdü's-Selam Muhammed Harun. Kâhire: Matba 'atu Mûstafe El-Babî El-Halebî, 2. Baskı, 1965.

El-Cerrah, Amır. *El-Belağatü't-T'alimiyye İlmü'l -Badi'i*. Türkiye: Shurufat li'n-Neşr'i ve'd-Dirasat, 1. Baskı, 2021.

El-Cûrcanî, Abdü'l-Kahîr. *Delailü'l-İ'caz*. thk. Mehmud Muhammed Şakır. Kâhire: Matba'atü'l-Medeni. ve Cûdde: Dârü'l-Medeni, 3. Baskı, 1992.

El-Cûrcanî, Abdü'l-Kahîr. *Esrarü'l-Belağat*. Thk. Mehmud Muhammed Şakır. Kâhire: Matba'atü'l-Medenî, ve Cûdde: Dârü'l-Medeni, 2. Baskı, 1992.

El-Kûzvinî, Celâlü'd-Dîn. *El-İzâh fî Ülümü'l-Belağa, El-Mâ'anî ve'l-Beyân ve'l-Bedi'*. Thk. İbrâhîm Şemsü'd-Dîn. Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-'İlmiyye, 1. Baskı, 2003.

El-Ömerî, Muhammed. *Fî Belağati'l-Hitâbi'l-İknâ'i Medhel Nezeri ve tâtbikî li Diraseti'l-Hatabeti'l-Arabiyye el-Hatabe fi'l-Kerni'l-Evvel Nemüzecen*. Ed-Dârü'l-Beyzâ: Dârü's-Sekâfe, 1. Baskı, 1986.

El-velî, Muhammed. *Medhel ile'l-Hicac Aflaton ve Aristo ve Chaim Perelman*: ('Âlemü'l-Fikir, C:40. S:2), (Ekim- Aralık 2003), Kuveyt.

Es-Sekkakî, Ebu Yakûp. *Miftahü'l-Ülüm*, Thk. Na'im Zerzur. Beyrut: Dârü'l-Kütübü'l-İlmiyye, 2. Baskı, 1987.

İbnu Kuteybe, Ed-Deynevrî. *Te'vîlu Muşkilü'l-Kur'an*, Thk. Es-Seyyid Ahmed Sakır. Kâhire: Darü't-Turas, 2. Baskı, 1973.

İbnu'l-Esîr, Ziyâü'd-Dîn. *El-Meselü-s-Sâir Fî Edebü'l-Kâtib veş-Şâiir*, Thk. Ahmet El-Hûfî ve Bedevî Tebâne. Kâhire: Dârü'n- Nahde'ti Mısır li't-Tibâet'i ve'n-Neşr ve't-Tevzî', 2. Baskı. t.y.

İbnu'n-Nâzım, Bedrü'd-Dîn İbnu Mâlik. *El-Mısbâh Fî'l-Me'ânî ve'l-Beyân ve'l-Bedi'*, Thk. Hûsnî Abdü'l-Celîl Yusuf. Mısır: Mektebetü'l-Âdâb, t.y.

İbnu Reşîk, El-Keyravânî. *El-Ümde Fî Mâhasînü'ş-Şiir*. Tah. Muhammed Mûhiy'd-Din Abdü'l-Hamit. Beyrut: Dârü'l-Cil, 5. Baskı, 1981.

Kohen, Can. *Bunyetü'l-Lugati'ş-Şiiriyye*, Terceme. Muhammed El-veliy ve Muhammed El-Ömeri. Ed-Darü'l-Beyza: Daru Tubkal li'n-Neşr, 1. Baskı. 1986.

Extended Abstract

The research title encompasses common terms such as linguistic metaphor, educational rhetoric, and pragmatics. It discusses various forms of linguistic metaphor, including similes and metaphorical expressions, while also delving into the communicative dimensions surrounding metaphors, such as conveying meaning, usage, communication, and argumentation. The study highlights two divergent fields in terms of source, material, and timeline: rhetoric, a traditional Arabic source with aesthetic, artistic, and stylistic goals from the fifth to the eighth century AH, and pragmatics, a modern Western source focused on utilitarian communicative dimensions. The term "pragmatic metaphor" is not considered unusual or hybrid when viewed from a utilitarian and functional perspective, calling for a re-evaluation of rhetoric from this standpoint. The significance of the research lies in revisiting the interpretation of metaphors, their types, and the evolution of their current understanding. Numerous books have discussed the relationship between rhetoric and pragmatics, but our research stands out by examining the concept of pragmatic metaphor in contrast to stylistic metaphor, offering a communicative, utilitarian perspective. Our research differs from conventional stylistic interpretations by drawing on the readings of rhetoricians in the educational phase of rhetoric, stating our own interpretive views to clarify that metaphors, the cornerstone of poetic aesthetic values in both Arabic and Western contexts, can be studied from a pragmatic perspective, emphasizing free analysis focusing on the general dimension of pragmatics as a procedure rather than a science.

Our lesson focused on the various types of figurative expressions as discussed by advanced Arab rhetoricians within the framework of what is known as educational rhetoric. We divided rhetoric historically and thematically into three sections. The first comprises ancient rhetoric culminating in Al-Sakkaki's rhetoric, the second includes educational rhetoric divided into three sciences: semantics, rhetoric, and eloquence. The third and final section is modern rhetoric represented by style and argumentation. We studied figurative language in educational rhetoric, exploring its discursive dimensions of elucidation, usage, communication, interpretation, and comprehension with cognitive and knowledge-based aspects. Our study covered three main areas: the concept of figurative language and its types in educational rhetoric, the discursiveness of metaphorical language, and the discursiveness of sentential metaphor. Our findings highlighted the discursive dimensions of linguistic metaphors in two forms: figurative and sentential, where these were often considered stylistic forms in educational rhetorical studies. The discursive values and dimensions were present in describing the structure of metaphor. We observed that discursiveness in metaphor becomes evident when it aligns closely with understanding, termed as informative metaphor. On the other hand, the distanced discursiveness in metaphor emerges through analyzing its influential aspect, referred to as affective metaphor. Both informative and affective metaphors are discursive according to this analysis. Furthermore, the discursive aspect in sentential metaphor is revealed through adherence to principles of usage and discourse, grounded in linguistic and cognitive inference, or dialogical implication in discourse, extracting the intended meaning by examining their structured relationships. These relationships are prescribed in the rhetoric of sentential metaphor, encompassing causal, holistic, local, and other relationships. The absence of a structured and elucidated relationship can result in meaningless and rambling speech, contradicting the idea of speech being beneficially discursive.

We deduced from this research with the following results:

1. We identified the principles of expansiveness and consideration of usage norms, along with describing construction methods by mentioning the relationships that connect parts of metaphors. For example: the relationship of simile in metaphor, and the transmitted relationships in the sent metaphor. This discussion is related to two important matters: the first being pragmatical related to understanding and communication, and the second stylistic highlighting the aesthetic values of the aforementioned metaphors.

2. The presence of pragmatical values was evident in describing the function of linguistic metaphor in its two forms: figurative and transmitted. The value in the construction or structure discourse was more vivid and clearer, as we identified the values of informing, reporting, and persuading while also noticing that metaphors are based on achieving communicative functions, such as multiplying meanings, diagnosing, displaying, embodying, softening, in addition to the argumentative function. As for the transmitted metaphor, the inclination towards the formal side was more prominent, and the pragmatical aspect was emphasized regarding the discourse about usage norms and expansiveness.

3. We observed that Jurjani, in his discourse on linguistic metaphor, was inclined to emphasize pragmatical values more than other masters of educational rhetoric. This is because he followed a descriptive, taste-based, research-oriented method, while his successors followed the standard logical, school-exam style. Hence, we find that his interest in the function was stronger since they were preoccupied with setting boundaries and divisions.

4. We urge towards the necessity of reading metaphors and other artistic techniques from a beneficial pragmatical perspective. The aesthetic stylistic studies of language techniques are evident and subject to critical taste, yet attention to the informative aspect has not received much interest from scholars on its importance.

5. The pragmatical aspect stood out in the two forms of linguistic metaphor: simile and transmitted metaphor through function and purposes, by considering usage methods, achieving delivery and communication, and through information and benefit.

Finally, we call for enriching aesthetic stylistic studies with beneficial pragmatical studies, and not to focus only on the means but neglect the goals.